

الثقافة وتأثيرها على الفقر

د. لاينا فرهات-هولزمان

مؤسسة فاميلي سيكيوريتي الأمريكية

18 ديسمبر 2007



Does Culture Play a Role in Poverty?

by Laina Farhat-Holzman, Ph.D.

The Family Security Foundation

ترجمة: علي الحارس

يقول الرأي الشائع أن الفقر نتيجة من نتائج الاستعمار والاستغلال. وأن الحل يكمن في إعادة توزيع الثروة ممن يملكون لمن لا يملكون. ويرى البنك الدولي أن الدول يمكنها النهوض بنفسها والانتقال من التخلف إلى التقدم عبر سن سياسات حكومية حكيمة. لكن أحد أهم المفكرين الاقتصاديين الأمريكيين. وهو روبرت سامويلسون (Robert J. Samuelson) يعارض ذلك. ويقول بأن الثقافة هي العامل الرئيسي في تحديد الفقر والغنى.

الثقافة وتأثيرها على الفقر

ويوافقه على ذلك المفكر لورنس هاريسون (Lawrence Harrison) من جامعة تافت (Tuft University). وهو يعني بالثقافة جملة الاعتقادات والممارسات التي يتم تعلمها وفرضها. وليست الإمكانيات الإنسانية الجوهرية التي لا تختلف من مكان إلى آخر. وفي الولايات المتحدة الأمريكية يعيش مهاجرون جاؤوا من دول متخلفة لا رجاء فيها. لكنهم نجحوا ضمن الثقافة الجديدة وهو أمر لم يتمكنوا منه في دولهم الأصلية.

ويتفق مع ذلك مفكر اقتصادي آخر هو غريغوري كلارك (Gregory Clark). ففي كتابه (وداعاً للصدقات: الوجيز في التاريخ الاقتصادي للعالم) يرى أن معظم ما تبقى في العالم من حالات فقر إنما هي حالات مستعصية على الحل. فالإكتفاء بالإجبار على اتباع سياسة الأسواق المفتوحة، وضمان حقوق الملكية، والمال النظيف، ومكافحة الفساد لا يعني بأن الثقافات المعادية لهذه القيم ستتحقق مثل هذه السياسات. والنظر إلى حالها ينبئك بتفاقمه على مر الزمان: فالفجوة ما بين الأمم الغنية والأمم الفقيرة اتسعت من نسبة (1:4) عام 1800م لتصل إلى (1:50) في أيامنا هذه.

لاحظ كلارك أن الحال قبل عام 1800م كانت فيه معظم المجتمعات تعاني حالة من الركود وكانت الشعوب تعيش بطريقة تشبه ما كان عليه أسلافها في العصر الحجري. أما النمو الاقتصادي (وكل الأمور الحميدة التي رافقته) لم يبدأ إلا عام 1800م في انكلترا. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: لماذا انكلترا وليست الصين أو اليابان مع أن كليهما كانا على الدرجة ذاتها من التطور مع انكلترا؟ ويجب كلارك على هذا السؤال بانبثاق قيم الطبقة الوسطى (العمل المجدّ، الجدية، الإبداع، الصبر، والتعليم). ويقدم عالم الاجتماع

**.....[:الاكتفاء بالإجبار على اتباع سياسة الأسواق
المفتوحة، وضمان حقوق الملكية، والمال النظيف،
ومكافحة الفساد لا يعني بأن الثقافات المعادية لهذه
القيم ستتحقق مثل هذه السياسات.]:.....**

الثقافة وتأثيرها على الفقر

الألماني ماكس فيبر (Max Weber) مؤلف كتاب (الرأسمالية والأخلاق البروتستانتية) أدلة مقنعة تربط ذلك التغير بالقيم البروتستانتية.

على مدى التاريخ، اتخذ تغيير العادات الثقافية طابعا دمويا. فمعظم البشر يشعرون بالخوف من التغيير ويعتقدون بأن الشيطان الذي تعرفه خير من الشيطان الذي لا تعرفه. أما في انكلترا فقد تعرضت الثقافة للتغيير خلال التنافس المهلك ما بين القيم الكاثوليكية ومثلتها البروتستانتية. وكانت اعتقادات الناس آنذاك مهمة لحكام انكلترا إلى حد جعلهم يعدمون كل من يحمل هذه المجموعة «الخاطئة» من المعتقدات. لقد شجعت البروتستانتية على الآداب بخلاف كاثوليكية ذلك العصر؛ واعتبرت العمل المجدّ فضيلة، وليس لعنة؛ وأيدت اقتصاد الطبقة المتوسطة المتمثل في تجار المدينة بديلا عن الاقتصاد الزراعي الإقطاعي الأرستقراطي؛ وبالطبع، أعلنت البروتستانتية من شأن الصناعة.

وعلى الرغم من أن الإقرار بالفائدة الفعالة لاختيار النوع المناسب من الدين في تشكيل الصورة العامة للمجتمع ليس من الأمور التي تحظى بالتفضيل العام، فإن ذلك ما تم فعليا في انكلترا ومستعمراتها فيما بعد، وبالأخص في الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى امتداد قرون، كانت تعاليم الآباء هي التي أنجبت جيلا يحمل هذه القيم والتي ترسخت حتى بعد زوال سلطة الكنيسة والهيمنة الدينية. وذلك يتمثل (إلى يومنا هذا على الأقل) في ثقافتنا الزائفة.

ولكن؛ ماذا عن تلك الدول التي تهيمن عليها الممارسات القبلية أو الدينية أو الأيديولوجية أو السياسية، والتي لا تقترب مما نعتنقه من قيم الطبقة الوسطى؟ ماذا الذي يحدث لدولة كالسعودية عندما تعجز أموال النفط عن تمويل نظامها الأرستقراطي

**.....: [على مدى التاريخ، اتخذ تغيير العادات الثقافية
طابعا دمويا.]:.....**

الثقافة وتأثيرها على الفقر

شبه الريعي؟ من أين يمكن أن تنبثق الإرادة للعمل يدا بيد مع حصيلة التعليم والخبرات التي يحملها كل المواطنين. رجالا ونساء؟ وأين مكان القيم الحديثة في أحلام الحركات الإسلامية المسلحة التي تتطلع إلى عالم تفرض فيه هيمنتها وتأخذ البيعة من جميع الثقافات بعد الفتح؟

إن الصين واليابان (والهند مؤخرا) أظهرت بأنها لا تخشى تبني القيم الغربية الحديثة في تنمية مجتمعاتها. إنهم الآن يقطفون ثمار النجاح. أما العالم الإسلامي ودول أفريقيا الوسطى فليسوا كذلك. إنهم في النهاية سيتعلمون ذلك. لكن عبر مسيرة بطيئة لا شك في أنها ستكون دموية. ولن تجدي الأموال نفعا في هذا المجال.